



## قرأت العدد الماضي من الآداب

بقلم

الدكتور شكري فيصل

الفكر ليس فيها إلا هذه الواحات المنتثرة هنا وهناك .  
والواقع أنه ما من شيء آخر أحرى باهتمامنا في مجتمعنا  
العربي اليوم من هذه الثقافة العلمية .. وقد يبدو غريباً أن  
اقول ان هذا الواجب إنما يقع على الأدباء ، وان المجلة الأدبية  
- على الازمات التي تعانيها - هي وحدها التي تعيش في  
وسطنا القارئ ، وهي التي تحمل الى الجيل الجديد ثقافته  
وغذائه ، وهي التي تجذب اليه هذا الاتجاه او ذاك .. ومقالة  
واحدة فيها قد تثير موهبة ، وقد تبعث اطلاعاً ، وقد تساعد  
على اتجاه .. وهي بهذا المعنى مسؤولة لا عن الحياة الادبية  
فحسب بل عن الحياة العلمية .. عن اشاعة روح العلم والاقبال  
عليه والايان به كعنصر من عناصر الحياة .. مسؤولة عن  
ايقاظ المنطق العلمي في مناقشاتنا وافكارنا .. مسؤولة عن  
تصحيح مناهجنا واقامة مفاهيمنا .. وذلك كله لن يتأتى عن  
طريق المقالة او القصة او الشعر فحسب ، ولكنه في حاجة الى  
قدرٍ مثل ذلك من العلم وانبائه، وكشوفه وارتداداته، والآفاق  
البعيدة التي يضرب فيها والحير الكثير الذي يعود على

تمضي « الآداب » نحو هذه الغايات التي تلهمها ، سواء في أدب  
القصة أو في أدب المقالة ، وسواء في هذا الشعر الغنائي أو  
الدراسات العامة .. إن العدد الرابع مزيج متآلف من ذلك  
كاه ، تعاونت صياغته هذه القصص المترجمة والمؤلفة ، قصص  
من واقعنا العربي ومن حياة الناس الانسانية في كل قطر  
ومصر .. وهذه المقالات والابحاث المختلفة حول موضوع  
أدبي او فكرة تاريخية .. وهذه الباقية الشعرية التي كانت تتوزع  
صفحاته في عبير حلو ونغم محبب .. وتضامت مع ذلك كله  
هذه الابواب المختلفة .. ابواب النشاط الثقافي في البلاد العربية  
والغربية ، والتعريف بالنتاج الجديد ، والاستفتاء حول نكسة  
الشعر .

والعدد بهذه المجموعات واسع الشمول ، ولكنه تخلّس عن  
جزء أضحي اساسياً في صميم ثقافتنا الأدبية أعني به هذه الحياة  
العلمية ، مقالاتها وانبائها ، في شيء من التبسيط الذي يجب لهذا  
الجيل الناشئ ان يقبل على العلم ، فإن لم يقبل عليه دارساً له  
مستفيداً منه ، لم يقصر عن متابعته ولم يعيش بعيداً في بقاء من

يعبروا عن تجاربهم التي انتزعوها من واقع حياتهم ، ووفق أكثرهم ، بقدر  
ما أعانته الموهبة ، وهذا حسبهم . وفي أدب البحث ، وزجاله من الشيوخ  
كثير ، نجد ان الأغراض الاجتماعية واضحة بينة ، قوية في أكثر الأحيان ،  
وهم في ذلك ، يتناولون وجوها مختلفة من المجتمع ، ويصورونها وقد يتخلف  
بعضهم عن الركب ، وقد يسبق البعض الآخر ، الا انهم في كل ذلك صادقون  
مع أنفسهم ، مخلصون لمجتمعهم . فاجتمعنا اليوم ، مجتمع غير موحد ، ولا  
منسجم ، وفيه جوانب متعددة ، واللوان متباينة ، تعرض لها ادباء البحث ،  
كل من زاويته الخاصة ، التي تحددها له تجاربه واختباراته الخاصة .

ثم نستدرك ونقول ، هل هنالك في مجالي الابداع والبحث أدب تجسير  
من أدب الشيوخ الأعلام ؟ قد لا أكون مخطئاً إذا قلت : نعم : فنحن على  
أبواب نهضة أدبية شاملة ، يضطلع بها الأدباء الشبان ، ولكن المسرح لا يزال  
مشغولاً بالممثلين القدامى . وهم يقدمون ، آخر ما يقدمون ، للممثلين  
الشبان ، دروساً مفيدة ومواعظ قيمة . والشبان ذوو مواهب وطاقات ،  
والشيوخ ذوو حكمة وتجارب ، ويتوفر الموهبة وإحاطة الحكمة لها ، وحدها  
عليها سنبعل في أدبنا شأواً بعيداً .

الوظيفة دون ان يشعر ، عندما يعينا على فهم الحياة والأناس ، وعندما  
يضطلع بتفسير الغوامض وجلاء المعميات ، وبذلك يوسع تجاربنا ، ويشق لنا  
سبلاً جديدة ، وبذلك تتوالد حياتنا ، وتتضاعف لحظات الأشرار  
والاستمتاع فيها .

إذا وفقنا من هذه الاسئلة جميعاً ، موقفاً انسانياً عادلاً ، وقسمنا الادباء  
الى مبدعين ، وباحثين ، استطعنا ان نقول ، محيين على هذا السؤال ، إن  
الادب الإبداعي ، لا يفرض على الأديب شيئاً ، غير عمق الاحساس وصدق  
التعبير . والأديب يؤدي رسالته كاملة اذا استطاع أن يفهم الحياة فهماً صحيحاً ،  
وأن يمثّلها تمثلاً واعياً ، وأن يعبر عن تجاربه ، اثناء عمليتي الفهم والتمثل ،  
بأمانة وإخلاص .

اما الكاتب الباحث ، ومجاله البحث الطويل ، والمقالة ، فيختلف عن  
الأديب المبدع في طريقة التعبير ، عن احساسه وتجاربه ، وان اشتركا في  
تجسّم التجارب وتمثلها . إذ عليه أن يسوق اختباراته في اسلوب واضح جلي ،  
لا يخلو من التوجيه الصريح والوعظ الواضح ، وبهذا يؤدي وظيفته الاجتماعية ،  
كما نفهمها في استعمالنا الشائع اليوم .

ثم تعود إلى شيوخ أدبنا الحديث ، فنقول ، انهم حاولوا ، مبدعين ، أن

أصحابه معه .

إننا نواجه الدنيا على فترة من الحياة البقطة . . ومن أجل ذلك تزدحم دروبنا بالأعباء ، ولم نؤلُ بعد الى شيء من التخصص في حياة مجلاتنا الرزينة . . ولهذا أحب ان ألقى على عاتق مجلاتنا الادبية هذا الواجب الجديد . . وما أدري ما هو رأي المشرفين على هذه المجلة والمجلات الاخرى . . ولكني أعرف في هذه السلسلة من المقالات التي تنشر عن ادب الالتزام ان هناك إيماناً عميقاً بمهمة الأدب ، لا في نطاق الحياة الشعورية فحسب بل في نطاق الفكر اليقظ ايضاً . . وهل شيء آخر ادعى الى يقظة الفكر من هذه الاثار العلمية التي تحفل بها الحياة الحاضرة في المجتمعات الكبرى .

من أجل هذا نريد المقالة العلمية والنبأ العلمي . ونعيذ المجلات الأدبية ان تلجأ الى ذلك على انه سبيل للتنويع والتلويح وزخرفة البضاعة التي تقدم الى القارئ ، فليس هذا بشيء ، وانما نريد ذلك جزءاً اساسياً صلباً في مقومات العمل الأدبي الذي يريد النهضة بالفكر العربي والنفس العربية .

فاذا كنا مع مجلة الآداب على صعيد واحد من الايمان بذلك ، كان لنا ان نضيف الى المجلة باباً جديداً يولي الحياة العلمية اهتمامه تعريفياً بها وكشفياً عن جديدها وصلة بين القارئ العربي وبين كل آفاق المعرفة . ومن المؤكد ان مثل هذا الباب ، حين تتخذ له أساليبه المبسطة وأهدافه المشوقة ، ستكون له آثاره العميقة ، وهي آثار تلتقي مع رسالة الأدب بل تكاد تكون جزءاً منه من حيث هو إثارة وتوجيه وتسامٍ وتفتيح آفاق في الأنفس والأكوان على حد سواء .

\*\*\*

وبعد فهذا حديث عن المجلة في هذا العدد الرابع لعل هيئة التحرير اولى به . . فلنعد الى التفاصيل .

- ١ -

ان الاستاذ انور المعداوي يبدو دائماً ضعيف الثقة بقرائه قدر ما هو شديد الثقة بنفسه . . والذين يعرفون الاستاذ المعداوي عن بعد يعجبون به والذين يعرفونه عن قرب يزدادون به إعجاباً . . انه يعيش « الرأي » الذي يفكر به بكل كيانه ، يملاً نفسه واحاديثه ، ومجلسه وسمره ، وسبحاته وتأملاته . . حتى إذا جاء يكتب ، كتب كل شيء واندفع في كل ركن . . وانتقل بك من الموضوع الذي يحدثك عنه الى تاريخ هذا

الموضوع وإلى مستقبله كذلك . . ثم لا يكتفي ولكنه يحدثك عما حول الموضوع . . فما أكثر ما يجب ان يؤكد آراءه في الفن ، وجوهر هذا الفن ، وكيف يجب ان يكون ، والشرائط التي لا بد له منها . . عن الوجود الداخلي والخارجي ، عن الكون والنفس ، عن العقل والشعور ، عن اللقطة العقلية واللقطة النفسية . . إن صديقنا المعداوي لا يزال يصرّ على هذا الذي بدأه منذ بدأ أحاديثه الشيقة الممتعة في « الرسالة » حتى اليوم . . وهو محق في ذلك لأنه يرى انه يؤصل لهذه المفاهيم الأدبية التي يعتنقها والتي يدعو اليها في حماسة الخطيب واندفاع المؤمن وطريقة المدرّس . . ولولا اننا نعرف الاستاذ المعداوي لقلنا انه يعاني التدريس . . ولكن بين المعداوي وبين التدريس من المدى البعيد ما كرّاه اليه حتى ان يجلس إلى الاساتذة ، لأنه آثر ان يجلس لنفسه وإلى توقده وإلى مطالعته .

وأحسب ان الرأي في أنوثه ميّ لا يزال في حاجة إلى كثير . . إن منطق الكتاب واندفاعه لم يكن لها القدرة على أن ينساقا بنا هذا الانسياق البعيد . . ويبدو لي ان هذا الموضوع حريّ ان يتناول تناوياً آخر بعد تناول الاستاذ المعداوي ، ان تتناوله إحدى الدارسات والباحثات من جنس ميّ . . فلعلّ الأنتى ان تكون أقدر على فهم الأنتى واستبطاناً لعالمها المزهق .

ولست أحب ، سلفاً ، أن أخوض نقاشاً مع الاستاذ انور على شوقي لكل إخواننا في مصر ، في هذا الموضوع . . ولا أحسب ان القراء يحبون ذلك . . اننا في حاجة الى يد اخرى تقلب الموضوع وتتفحصه . . وقد تتصافح هذه اليد في نتائجها مع يد صديقنا وقد تهدي اليه وإلى القراء جديداً .

- ٢ -

والاستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري ، هذا الباحث المتأني ، جدير ان يتلقى إعجاب قرائه وتحيات إخوانه الذين يلتقون معه على الايمان بقوميتهم العربية . . إن ثقافته التاريخية العميقة ، ونظرته البصيرة المتأملّة ، ونفسيته المرهفة ، كل أولئك يلقي عليه عيشاً كبيراً في نطاق هذه الحياة القومية . . ولن تغني هذه الجزئيات - على الحرص الذي يبدو في الربط بينها - عن اعفائه من عمل أكمل وأتم في هذا الموضوع . . إن النقلة التي تعانها البلاد العربية من الماضي إلى المستقبل لا بد فيها من عمل هؤلاء الذين عرفوا الماضي وأدركوا الحاضر واستشرفوا المستقبل ، ولا بدّ

## رابعيات جديدة

ما اضعف الارشاد كل عتاده كلمات وعظ لا تصيب مثالا فاذا اردت الماكرين على الهدى فانصح، ولكن لا تكن محتالا لم يحفظ التاريخ قوله مصلح حتى تأكد صدقها أفصلا هيات يقيني وان يك بيتاً ما قيل الا ان ارى من قالا تذر من صرف الزمان تحدرأ الى ما يلاقي من عوارض نحسه وكيف يصب الرغد والسعد حاسد تتيه به البغضاء في قفر بأسه يريد من الناس السخاء تبرعاً باموالهم وهو الضنين بفسله اخف العنى ان لا يرى المرء غيره واصعبه ان لا يرى غير نفسه حملت قلبك ما في الحقد من نصب فبات عقلك بالظلماء مشتغلا

فيها من عملهم جاداً دائباً حتى يستصفوا ويستخلصوا ويبدعوا . وتلك هي المهمة الكلية التي تطالعنا دائماً وراء اسم الدكتور الدوري واخوانه .

- ٣ -

وأجوبة الاستفتاء عن الشعر المعاصر كانت مجموعة طريفة نظر فيها كل كاتب من نحو ، هو النحو الذي رسب في ذهنه عن هذا الشعر لا النحو الذي أراد الاستفتاء أن يثيره . وأظن ان القراء جميعاً مشتركون في انهم خرجوا من هذه المشكلة بمشكلات جديدة .. إنهم لم ينتهوا - في اكثر الذي كتب - إلى رأي أو ما يشبه الرأي ، محدد مضبوط .. ولكنهم أضافوا عشرات الاسئلة الاخرى، وقفز الى ذهنهم هذا الشعر : ماضيه وحاضره ومستقبله ، فنونه وأنواعه المختلفة .

ولعل ذلك عائد الى طبيعة الاستفتاء الذي يقصد إلى الاثارة باكثر مما يقصد الى التحديد والتقييد .

وليس بعد هذا الاستفتاء من سبيل الى الحديث عن الشعر الذي نشر في العدد الرابع .. انه في تلونه وتفرعه واختلافه هو هو في تنوع الاجابات واختلافها .

- ٤ -

ويكتب الاستاذ حسين مروة باب « قرأت العدد الماضي من الآداب » بعد ان يجدد النظر في العدد الثالث . ولكنه

وعشت وحدك في دنيا مهدمة تكابد الغم والحلمان والفسلا الذنب ذنبك فانظر - فالحياة لها وجه جميل - ووجه يبعث الوجلا والناس انت تراهم ، حين تبغضهم ابالسا ، واذا احببتهم رسلا جرد سبيل الناس من نكباته تغد الحياة من القبور جهنا ولربما رام الزمان لك الاذى ففضى عليك بان تعيش منعها ومتى رمتك الحادثات عبوسة بنبالها ، فاضحك لها متهمها ما في بكائك ان فرحت بطولة ان البطولة ان تضام وتبسما خاب الرجا فيكم وكان شبابكم امل البلاد تحوطه الدعوات يا ذائبين من الميوعة انكم في درها نحو العلى عقبات ايامكم تحت الفجور يسوقها سوط البلى وعتادكم مرآة يتبختر الطاووس في اثوابكم ونفوسكم في ذلها حشرات

بونس ايريس الياس قنصل

ينظر دائماً من وجه واحد .. ان ملاحظاته الدقيقة ملاحظات حاسوب ماهر يستفيد من فاتحة المجلة ليأخذها كتاب المجلة جميعا .. في شيء كثير من العنف ومن الاصرار .. لا يشفع عنده شيء .. لأن الادب عنده لون واحد ، والفكر كما يبدو كذلك فكر واحد .. ان تعليقاته النافذة السريعة تنزع عن قوس معينة لترمي كل الاهداف الأخرى . وفي هذه التعليقات السريعة القصيرة تجد حلول كل المشكلات التي تملأ ذهن الانسان والتي يعالجها ، تجد حلول كل القضايا الانسانية والقومية والفنية واللغوية .. انها حدة الاستاذ مروة وتوثبه .

- ٥ -

ولست اجد مجالاً للحديث عن القصص .. إن قصة الاستاذ شوقي بغدادي تقف على الطرف الآخر من قصة الاستاذ مهدي عيسى الصقر .. والقصتان معاً دفع نحو الثقة بمستقبل القصة العربية في مختلف اتجاهاتها .

ولن أنسى ان اشد على يدي الاستاذ عبدالله عبد الدائم في حديثه في فاتحة العدد عن رسالة الادب واثرها في نهضتنا القومية . وقرابة ما بيني وبين الدكتور ادريس تمنعني من الثناء على مجته القيم عن القصة العراقية ، هذا البحث الذي يقوم على جهد وتبع بعيدين .

شكري فيصل

دمشقة